Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعادة فى مطالع المدح أن تفتتح بما يناسبها ، وهو ما يشرح صدر السامع والممدوح ويبعث فى النفس الانشراح ، وأنسب ما يكون له الغزل، والمتنبى لا يجهل ذلك ، بل يقرره فى شعره ، كما يقول فى أحد مطالع قصائده :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم  أكل فصيح قال شعرا متيم ؟(١٦)

فقد كان ينبغى أن تكون مطالع المدح منصبة على الغزل كما يعرف المتنبى ويعرف سائر الشعراء ، ولكن المتنبى لا يتقيد بهذا التقليد ، وإنما يلجأ إلى إبراز ما فى نفسه ومشاعره فى أى أسلوب ، وأى شكل ، ومع أن الشاعر كما سبق يستطيع أن يبرز مشاعره الحقيقية ولو كانت سخطا أو بغضا من خلال الغزل إلا أن المتنبى فى أغلب الأحيان لا يرى نفسه فى حاجة إلى هذا التغليف ، وإنما يبرز مشاعره واضحة جلية ، كما فى مثل هذا المطلع الذى يفجأنا منه حديثه عن الحزن الذى ملأ قلبه حتى استعصى على أى وسيلة للتسلية والترويح ولو كانت الخمر ، ويمكن أن نفهم أن هذه القدرة على مخالفة التقليد تمثل مبالغة فى الثقة بالنفس وبالشاعرية وقد يقال : فأين دلالة هذه المطالع على نفسية الشاعر نحو الممدوحين كما رأينا فى الفصول السابقة ؟ والجواب أننا فى حديثنا عن الشعراء كالخنساء والبحترى والمتنبى لا نهدف إلى إبراز دلالة المطلع لذاته ، أو بصفة جزئية ، وإنما نهدف إلى محاولة استنتاج الطابع العام أو الغالب على نفسية الشاعر فى نظراته العامة إلى الحياة ، وذلك من خلال مطالع قصائده ، ولذلك نكتفى فى أغلب الأحيان بالبيت الأول من القصيدة ، لأنه يحمل غالبا معالم نفسية الشاعر وانفعاله ، أما حين نريد استيضاح نفسيته نحو موضوع القصيدة بالذات فإننا نحتاج إلى استعراض كل الأبيات المكملة للمطلع أو ما يسمى مقدمة القصيدة .

وما دمنا الآن بصدد محاولة فهم نفسية المتنبى نحو الحياة بكل ما فيها بصفة عامة ، فلسنا بحاجة إلى الوقوف عند تفاصيل وإشارات كل مطلع ، ولذلك على سبيل المثال يكفينا الشطر الأول من المطلع السابق ، وهو ( فؤاد ما تسليه المدام ) لأنه يحمل من الدلالة على الطابع العام لنفسية المتنبى ما يغنينا ، وليس يعنينا الوقوف عند الشطر الثانى منه ، وهو ( وعمرٌ مثل ما تهب اللئام ) الذى قد يحمل إشارة إلى نفسية المتنبى ومشاعره نحو الممدوح ، ولو من باب حفزه إلى زيادة العطاء ، وأنه لو كان واثقا من أن لدى